

اختصاص الله تعالى بعلم الغيب

وقال الله تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } . { مَفَاتِحُ الْغَيْبِ } أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنها الأمور الغيبية التي ذكرت في قول الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } هذه من جملة مفاتيح الغيب. فعلم الساعة لا يعلمه إلا الله حتى الأنبياء؛ لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، قال: { مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ } رد علمها إلى الله، وقال تعالى: { يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ فَلَنْ نَمَسَّهَا إِلَّا مَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا } . وكذلك وقت إنزال الغيث وقت إنزال المطر لا يعلم أحد متى ينزل المطر؛ يُنزل الغيث بعلمه وبأمره: { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثْبِتُ سُحَابًا فَيَنْسُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ } ثم لو اجتهد الخلق؛ في أن يعرفوا متى نزل المطر لما عرفوا. { وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ } أي يعلم ما يشتمل عليها الرحم من ذكورية وأنوثة يعلم ذلك وحده { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا } لا تدري أنت ماذا تحصل لك في بقية هذا اليوم، لا تدري ماذا يحصل في اليوم الآتي، ولا في الأيام المقبلة، هذا من علم الغيب الذي أخفاه الله تعالى واختص به. { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } إن ذلك كله علمه عند الله، هذه مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو { وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ } أي جميع المخلوقات التي في البر صغيرها وكبيرها، الله يعلمها، قال الله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ } كل الدواب رزقها على الله وقال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا } يعلم ذلك. الدواب كلها صغيرها وكبيرها { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أُمَّتًا لَكُمْ } فيقول تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ } وكل ما في البر وكل ما في البحر فإنه يعلمه { وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَنْزِلُ فِيهَا مِنْ مَاءٍ غَيْرِ غَيْرِهَا } لا تسقط ورقة من شجرة؛ أي إن كانت تلك الورقة إلا الله تعالى قد كتب وقتها وعلم ما هي ولو كثرت الأوراق في وقت واحد { وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ } كل ذلك معلوم لله تعالى. الله سبحانه وتعالى عالم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا، ثم إنه بعدما علم ذلك أو علمه قبل إيجاد المخلوقات كتب ذلك كله في اللوح المحفوظ، فلا يزداد عليه ولا ينقص منه. فهذا مما نؤمن به، علم الله قديم وكتابه للأشياء كلها من أول الدنيا إلى آخرها صغيرها وكبيرها، كذلك أيضا تؤمن بقضاء الله وبقدره، وهو أنه الذي قدر هذه الحوادث، وأنه الذي حدد أوقاتها فما يحدث شيء إلا وقد قدره وقد حدده وقد علم وقته الذي يحصل فيه.